الفصل الثانى

الغزو الفكرى

فى عهد الدولة الأموية والدولة العباسية

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول
دور اليهود فى غزو المسلمين فكريا فى عهد بنى أمية

إذا كان ابن سبأ قد لعب الدور الذى رأيناه من إثارة الفتن إلى إراقة الدماء إلى تكوين الفرق حول آرائه.

فقد لعب إخوانه من اليهود نفس الدور وإن اختلفت أساليبه مع بنى أمية.

فما أن استقر الوضع لبنى أمية حتى بدأ اليهود يتسللون إلى الأمراء الأمويين ويلقون إليهم بعلوم الصنعة والسحر والنيرنجات، وهكذا كان يعمل اليهود فى هذا المجال السرى وكانت غايتهم تقويض الإسلام[1].

ولا نترك العصر الأموى دون أن نشير إلى بعض مظاهر الغزو الفكرى للمسلمين والتى تمثلت فى الفرق اليهودية التى ألقت بأفكارها فى المجتمع الإسلامى فشغلت المسلمين بها، ما بين جدال لأصحابها وما بين قتال لهم، وما بين تأثر بتلك الآراء..

ونأخذ على سبيل المثال لا الحصر - فرقتين من اليهود هما:

١ - العيسوية:

ظهرت هذه الفرقة ونسبت إلى رجل يدعى أبا عيسى اسحاق بن يعقوب الأصفهانى وقيل اسمه "عوقيد ألوهيم" أى عابد الله.

ابتدأ دعوته فى زمن آخر ملوك نبى أمية فاتبعه بشر كثير من اليهود وادعوا له آيات ومعجزا وزعموا أنه لما حورب خط على أصحابه خطا وقال أقيموا فى هذا الخط فليس ينالكم عدو بسلاح، فكان العدو أى "المسلمون" يحملون عليهم حتى إذا بلغوا الخط رجعوا عنهم خوفا من طلسم أو عزيمة بها[2].

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي فى الإسلام جـ١ ص ٦٩.

(٢) الملل والنحل للشهرستانى جـ٢ ص ٤٦ بهامش الفصل لابن حزم.

وهنا نلاحظ كيف أن أفكاره قد شاعت وأثرت فى المسلمين إلى درجة أنهم يخافون الاقتراب من الخط الذى وضعه بسبب ما أشيع حوله من وجود سحر أو طلاسم.

وبث آراءه التى منها أنه نبي ورسول للمسيح عليه السلام وأنه أفضل من الناس كلهم لأن المسيح أفضل ولد آدم وهو رسوله[١].

ويربط الدكتور النشار بين فرقة العيسوية من اليهود وبين آراء الباطنية والقرامطة - إذ أن الأفكار كانت متشابهة إلى حد كبير مما يشعر بأثر اليهود على تلك الفرق.

يقول الدكتور النشار عن أوجه الشبه بين أفكار أبى عيسى والفرق المشار إليها - بقوله :

"ونحن نجد في آرائه تقاربا بل أصلا للقرامطة والباطنية فقد أعلن أنه نبى وأنه رسول المسيح المنتظر . وقد استخدم القرامطة نفس الاصطلاح - كما زعم أن المسيح المنتظر. وقد استخدم القرامطة نفس الاصطلاح - كما زعم أن للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحدا بعد واحد - وهو يستخدم أيضًا اصطلاح الداعى وهو اصطلاح نراه لدى الشيعة الإسماعيلية ولدى القرامطة بل إن هذه الفرقة تعد عند بعض الباحثين أصل دعوة الإسماعيلية - ويذهب بعض الباحثين إلى أن أولاد القداح منشئ الإسماعيلية كانوا يهودا من الفرقة العيسوية"[٢].

والذى يهمنا أن الأفكار اليهودية التى بثها أبو عيسى منشئ فرقة العيسوية لها تأثير مباشر أو غير مباشر بطريق أو بآخر على الفرق التى انحرفت عن الإسلام وكان لها دور فى محاولة هدم العقيدة لدى المسلمين.

٢ - الموشكانية :

من فرق اليهود التى أشاعت الأفكار الهدامة فى المجتمع الإسلامى فقد زعم جماعة منهم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول للعرب وسائر الناس ما خلا اليهود لأنهم أهل ملة وكتاب[٣].

---

(١) نفسه .

(٢) نشأة الفكر الفلسفى جـ ١ ص ٨٨.

(٣) الملل والنحل جـ ٢ ص ٤٧.

وكانت هذه الأفكار يدور حولها جدل كبير بين اليهود وبين علماء الإسلام. ولا شك أن رزازًا من هذه الأفكار، كان يجد استجابة عند بعض ضعاف النفوس، مما يسبب بلبلة فكرية فى المجتمع الإسلامى، كان فى غنى عنها، لو أن اليهود لم يمارسوا دروهم المشئوم وخطتهم لإفساد المسلمين.

obeikandl.com

المبحث الثانى
دور اليهود فى العصر العباسى

انقضى العهد الأموى ـ وكان خلفاء بنى أمية حريصين كل الحرص على عدم تغلغل الأجناس غير العربية فى الدولة وأمورها.

فلما جاء العهد العباسى فتح الباب على مصراعيه أمام الأجناس غير العربية خاصة من الفرس، ونحن نعلم أن أبا مسلم الخراسانى هو الذى قامت على أكتافه الدولة العباسية.؟

وكان لاهتمام العباسيين بالعلم والثقافة والترجمة شأنا كبيرا وكلنا يعلم أن الكتاب المترجم كان يوزن بمثله ذهب.

وأمام هذه الحرية الفكرية والعلمية ـ بدأ اليهود يخططون، ويمارسون دورهم الخبيث منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ـ وبدأ الكيد للإسلام يأخذ عدة أساليب منها:

١ ـ قيام جماعات بأكملها تشكك فى عقيدة المسلمين وتلقى بأفكار جديدة تحاول بها أن تفسر القرآن الكريم والسنة تفسيرا يتفق مع أهواء هذه الجماعات ونزواتها وأبرز مثال على هذا ـ هم الباطنية.

٢ ـ قيام بعض الأشخاص بالهجوم على الإسلام بل ومحاولة معارضة القرآن الكريم ـ وأوضح مثال على هذا ... ابن الراوندى الملحد.

وسوف نتحدث عن الباطنية ودور اليهود فى نشأتها، ثم عن ابن الراوندى الملحد ـ واتصاله باليهود بل وتمويلهم له ماديا لمهاجمة الإسلام ومعارضة القرآن الكريم.

الباطنية ـ ودور اليهود فى نشأتهم:

ظهرت الباطنية فى زمن المأمون وانتشرت بعد ذلك فى زمن المعتصم [١].

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٨٤.

وتنسب الباطنية إلى جماعة منهم "ميمون بن ديصان، المعروف بالقداح ومنهم محمد بن الحسين الملقب بدنوان..... اجتمعوا كلهم مع ميمون بن ديصان فى سجن والى العراق فأسسوا فى ذلك السجن مذاهب الباطنية ثم انتشرت دعوتهم بعد خروجهم من السجن.

ثم ظهر فى دعوة الباطنية رجل يقال له حمدان قرمط لقب بذلك لقرمطة فى خطه أو فى خطوه [١]. وهو الذى نسيت إليه القرامطة فيما بعد.

ونأتى إلى السؤال الهام - وهو - ما هى الصلة بين الباطنية واليهود؟

يجيبنا على هذا التساؤل الدكتور فتحى الزغبى فى كتابه غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام فيذكر :

أن هناك صلة وطيدة بين الباطنية واليهود وهذه الصلة لها جوانب متعددة، فالبعض يذهب أن مؤسس الباطنية يهودى.

والبعض الآخر يذهب إلى أن أفكار الباطنية هى بعينها أفكار اليهود خاصة فيما يتعلق بالظاهر والباطن والتأويل [٢].

فأما عن الجانب الأول وهو الربط بين تأسيس الباطنية واليهود.

فبعض المؤرخين يذهبون إلى أن عبد الله بن ميمون المعروف بالقداح - كان يعتنق اليهودية ويظهر الإسلام وحين ظهر بالكوفة نصب للمسلمين الحوائل ويغى لهم الغوائل ولبس الحق بالباطل وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيرا ولكل حديث تأويلا وزخرف الأقوال وضرب الأمثال - وساعده على ذلك معرفته بعلم السحر والنجوم وكونه من أحبار اليهود وأهل الفلسفة وكان حريصا على هدم الشريعة المحمدية لما ركب الله فى اليهود من عداوة للإسلام وأهله والبغضاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم [٣].

ويؤكد هذا الدكتور أحمد شلبى فى كتابه اليهودية [٤].

---

(١) انظر الفرق بين الفرق البغدادى ص ٢٨٢.

(٢) انظر غلاة الشيعة ص ٣٨٤.

(٣) انظر كشف أسرار الباطنية القرامطة ص ١٩٧ نقلا عن غلاة الشيعة ص ٣٨٤.

(٤) انظر اليهودية ص ٣٢٢ ، ٣٢٣.

هذا عن العلاقة بين نشأة الباطنية وبين اليهود إذ اتضح أن عبد الله بن ميمون كان يهوديا

أما عن الجانب الثانى:

وهو العلاقة بين أفكار اليهود وأفكار الباطنية والقرامطة فقد مر بنا ـ أن فرقا يهودية نشأت فى المجتمع الإسلامى ـ خاصة فى العصر العباسى، وكانت الفكرة الجوهرية عندهم ـ التأويل والظاهر والباطن ـ رأينا هذا عند العيسويوة والموشكانية، وفرقة أخرى ذكرها الشهر ستانى تحت اسم اليوذعانية .. زعمت هذه الفرقة أن للتوراة ظاهرا وباطنا وتنزيلا وتأويل[1].

وحين نعرض أفكار الباطنية نجد أن أهم ما ارتكزت عليه فى التلبيس والتضليل فكرة الظاهر والباطن والتأويلات للآيات القرآنية والأحاديث النبوية بما يخدم أغراضهم الخبيثة ودعواتهم المشبوهة.

وسوف نعرض بعض النماذج للباطنية لنرى إلى أى مدى كان لليهود الأثر الواضح فيهم.

يذكر البغدادى أن الباطنية ينكرون المعجزات وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوحى والأمر والنهى بل ينكرون أن يكون فى السماء ملك وإنما يتأولون الملائكة على دعاتهم إلى بدعتهم، ويتأولون الشياطين والأبالسة على مخالفيهم.

وإذا ذكروا النبى والوحى قالوا:

أن النبى هو الناطق والوحى أساسه الفاتق وإلى الفاتق تأسيس نطق الناطق على ما تراه يميل إليه هواه، فمن صار إلى تأويله الباطن فهو من الملائكة البررة ومن عمل بالظاهر فهو من الشياطين الكفرة.

ثم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلا يورث تضليلا، فزعموا أن معنى الصلاة موالاة إمامهم، والحج زيارته وإدمان خدمته، والمراد بالصوم الإمساك عن إفشاء سر الإمام دون الإمساك عن الطعام.

---

(١) الملل والنحل جـ ٢ ص ٤٦ ونشأة الفكر الفلسفى جـ١ ص ٨٨.

والزنى عندهم إفشاء سرهم بغير عهد وميثاق.

وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا فى ذلك قوله تعالى ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ (١).

وحملوا اليقين على معرفة التأويل (٢).

وما ذكره البغدادى عن الباطنية يتفق تماما مع أغراض اليهود فى تخريب عقيدة المسلمين وتشكيكهم فى شريعتهم وكانوا يجدون آذانا صاغية من الفرق الخارجة عن الإسلام لبث أفكارهم ونشر سمومهم ـ وبخاصة الباطنية التى يرى الدكتور أحمد شلبى أنها أعظم حركة هدامة عرفها الإسلام وأنها كانت من صنع اليهود ممثلين فى ميمون وابنه عبد الله اللذان كان يعملان على بث مبادئهما السرية فى الإلحاد والهدم بتحريض من الدعاة اليهود (٣).

وهذا ما جعل الدكتور النشار يقرر أن اليهود لم يؤثروا عقليا فى المسلمين بل على العكس أثر المسلمون فيهم عقليا وفلسفيا، ولكنهم نجحوا فى إدخال عناصر تخريبية لدى الفرق الخارجة عن الإسلام ـ وبخاصة الباطنية (٤).

ومن العجيب أن اليهود يعترفون بهذا الفساد ويفخرون به ويعلنون على العالم بلا حياء.

ورد فى مجلة الجامعة الإسرائيلية نص خطير بهذا الشأن هو "تصادف فى كل التغييرات الفكرية الكبرى تقريبا عملا يهوديا سواء كان ظاهرا واضحا أو خفيا سريا، وعلى هذا فإن التاريخ اليهودى يمتد امتداد التاريخ العالمى بجميع مجالاته حيث تغلغل فيه بآلاف الدسائس"(٥).

---

(١) سورة الحجر الآية ٩٩.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٩٥، ٢٩٦.

(٣) اليهودية للدكتور أحمد شلبى ص ٣١٠ بتصرف

(٤) نشأة الفكر الفلسفى جـ١ ص ٨٧.

(٥) الجامعة الإسرائيلية ٢٦ يوليو سنة ١٩٠٧ ص ٥٨٥ نقلا عن اليهودية ص ٣٠٩.

ابن الراوندى[١] وصلته باليهود:

عارض ابن الراوندى القرآن الكريم فى كتاب سماه التاج" وألف كتبا أخرى منها "الفريد" و "الزمردة "، و "قضيب الذهب"، و "المرجان" وكلها اعتراض على الشريعة والنبوة.

وقد أورد الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه تاريخ الإلحاد نصوصا عن ابن الراوندى من كتاب الزمردة وفيه:

"أنه قد ثبت عندنا وعند خصومنا أن العقل أعظم نعم الله سبحانه على خلقه وأنه هو الذى يعرف به الرب ونعمه ومن أجله صح الأمر والنهى، والترغيب والترهيب فإذا كان الرسول يأتى مؤكدًا لما فيه من التحسين والتقبيح والايجاب والحظر فساقط عنا النظر فى حجته وإجابة دعوته إذ قد غنينا بما فى العقُل عنه والإرسال "أى بعثة الرسل" على هذا الوجه خطأ وإن كان ما يأتى به الرسول بخلاف ما فى العقل من التحسين والتقبيح والإطلاق والحظر فحينئذ يسقط عنا الإقرار بنبوته" [٢].

وهذا الكلام طعن فى الأنبياء جميعا وله كلام فى الطعن على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة فيما يتعلق بالقرآن الكريم.

غير أن هذا الطعن والتشكيك سواء فى الأنبياء قاطبة أو فى النبى صلى الله عليه وسلم، كان يقف وراء ابن الراوندى ـ فيه . اليهود عليهم اللعنة.

وقد أمدنا أديب العربية مصطفى صادق الرافعى بمعلومات قيمة فى هذا الصدد. يقول:

أما كتابه الذى يطعن فيه على نظم القرآن فاسمه "الدامغ" قالوا إنه وضعه "لابن لاوى" اليهودى وطعن فيه على نظم القرآن، وقد نقضه عليه الخياط وأبو على

---

(١) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندى ولا يعرف بالضبط تاريخ وفاته ولكن الأغلب أنه توفى فى أخريات القرن الثالث الهجرى اتصل بالمعتزلة ثم خرج عليهم ولازم الملحدين واتصل بهم اتصالا وثيقا. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ص ٩٤ ، ٩٥.

(٢) تاريخ الإلحاد فى الإسلام ص ٨٠.

الجبائى قالوا: ونقضه على نفسه، والسبب فى ذلك أنه كان يؤلف لليهود والنصارى بأثمان يعيش منها فيضع لهم الكتاب بثمن يتهددهم بنقضه وإفساده إذا لم يدفعوا ثمن سكوته.

قال أبو العباس الطبرى.

إنه صنف أى ابن الراوندى لليهود كتاب "البصيرة" ردا على الإسلام لأربعمائة درهم أخذها من يهود سامرا فلما قبض المال رام نقضه حتى أعطوه مائة درهم أخرى فأمسك عن النقض.

ويقال إن ابن الراوندى كان أبوه يهوديا وأسلم، والخلاف فى أمره كثير. وبلغت مصنفاته مائة كتاب وأربعة عشرة كتاب(١).

وابن الراوندى أحد الذين عُرفوا وإلا فإن غيره كثير يعمل على تلك الوتيرة مع اليهود.

وسوف نجد الكثير من أمثال ابن الراوندى أثناء حديثنا عن علاقة البابية والبهائية باليهود.

ولا نترك العصر العباسى دون أن نشير إلى أمر وإن كان بعيدا عن الغزو الفكرى إلا أن له دلالة خاصة فى تغلغل اليهود فى عصب الحياة وهو المال.

فقد جاء وقت كان الذى يتولى فيه أمر التجارة ويسيطر عليها هم اليهود.

يذكر آدم متز أن الذى كان يقبض على ما يستخرج من اللؤلؤ فى شواطئ جزيرة العرب رجلا من اليهود، وكانت الحرفة التى اختص بها اليهود فى الشرق الاتجار فى العملة.

بل كان بعض الوزراء يقترضون من اليهود مثلما اقترض الوزير على بن الفرات من رجلين من جهابذة اليهود وهما يوسف بن فنجاس، وهارون بن عمران ومنهما اقترض الوزير عشرة آلاف دينار فى أوائل القرن الرابع الهجرى(٢).

---

(١) إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) انظر الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ ٢ ص ٣٨٣، ٣٨٤.

obeikandi.com

ولنا أن نتصور :

أولا :

مدى الحرية التى تمتع بها اليهود فى المجتمع الإسلامى لدرجة السيطرة على تجارة اللؤلؤ واحتكار تجارة العملة ، بل واقتراض الوزراء منهم.

ثانيا :

لنا أن نتخيل أن قوما مثل اليهود عُرفوا بالمكر والخداع والكيد للإسلام ينضم إليهم عنصر المال. إن الفساد هو المنتظر ، وإن مزيدا من الكيد والفتنة هو المتوقع منهم.

obeikandl.com